دور أهل العراق في مواساة الرسول (ﷺ) ومؤازرته

م.د. خطاب إسماعيل أحمد*

تاريخ التقديم: 2009/8/26 تاريخ القبول: 2009/10/14

المقدمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن هذه الدراسة تتناول بيان الدور الذي لعبه أشخاص من أهل العراق في عصر الرسالة، وذلك لمصاحبة النبي (ﷺ) ومواساته ومؤازرته، في أصعب الظروف التي مر بها.

وقد تم التمهيد للبحث ببيان لعنوان البحث الموسوم بـ(دور أهل العراق في مواساة الرسول(ﷺ) ومؤازرته) لأنه بحد ذاته قد يثير إشكالاً، لذا في التمهيد محاولة لإزالة ذلك اللبس الذي قد يحوم حول عنوان البحث، وبعدها تم الشروع في البحث، والذي يتكون من المحاور الآتية:

زيد بن حارثة، ودوره في مصاحبة النبي (ﷺ) قبل البعثة وبعدها، وقد كان أقرب الناس إلى رسول الله (ﷺ)، وأحبهم إلى قلبه، وما بذله من جهد في تحمل مصاعب نشر الدعوة الإسلامية مع صاحب الرسالة محمد (ﷺ).

عداس بن متى من أهل نينوى من (الموصل)، الذي قال كلمة الحق في أخطر الظروف، وذلك عندما قال لسيده أحد أبناء ربيعة: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل، مواسياً رسول الله (ﷺ) مواساةً عظيمة.

وفي مساء ذلك اليوم القاسي، أقبل للإيمان بدعوة النبي (ﷺ) وفد من جن العراق، من أهل نصيبين، المدينة التابعة لمدينة الموصل.

وكذلك الدور الذي لعبه صهيب بن سنان المشهور بـ(صهيب الرومي) وقد كان هو الآخر من أهل العراق ومن مدينة الموصل أيضاً، في الإيمان برسالة

* قسم التاريخ/ كلية التربية/ جامعة دهوك.

الإسلام، ومصاحبة الرسول (ﷺ)، ومواساته ومؤازرته في المحن، وقد نزلت بحقه آيات من القرآن الكريم تخلد ذكرى بذله الغالي والنفيس في سبيل الله تعالى، وقد بشره نبي الرحمة بالفوز والفلاح، في الدنيا والآخرة.

لم يكتفِ أهل العراق بهذا القدر من الحضور في عصر الرسالة، بل كانت أرض العراق مرشحةً لكي تكون عاصمة الإسلام، لولا أن قدر الله باختيار (يثرب) المدينة التي تنورت بهجرة الرسول (ﷺ) إليها، فأصبحت المدينة المنورة عاصمة للدولة الإسلامية، تلك العاصمة التي انطلقت منها الجيوش الإسلامية للانتشار في العالم، وإخراج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام، فإنَّ بنو شيبان من أهل العراق كانوا قاب قوسين أو أدنى للاتفاق مع الرسول (ﷺ) لأخذه معهم إلى أرض العراق ونشر دعوته في الآفاق. وعلى أرض العراق جرت معركة ذي قار، التي خاضها بنو شيبان ضد الفرس، فكانت المعركة الأولى التي انتصر فيها العرب على الفرس، وقد ربطوا مصيرهم وهم على الجاهلية بالنبي (ﷺ)، وذلك أنهم استخدموا اسم محمد (ﷺ) شعاراً لهم في تلك المعركة، فكانت بمثابة حركة استطلاعية، ومقدمة للفتوح الإسلامية في العصر الراشدي.

وفي العراق أيضاً كان آخر من بقي على دين الحق من النصرانية، وسلمت بذلك قيادة العالم من الدين النصراني إلى الدين الإسلامي، فكان آخر الأساقفة النصارى من أهل العراق، هو الذي أوصى أحد الصحابة الكرام إلى أُسقف عمورية الذي أرشد بدوره ذلك الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) إلى أن ظهور نبيٍ في الجزيرة العربية، قد أظل زمانه، وأمره أن يهاجر إلى هناك إن كان يريد فعلاً البحث عن الدين الحق، كل هذه الأمور التي تم التنويه إليها بالإشارات، في البحث محاولة لبيانه بالتفصيل.

من خلال الرجوع إلى المصادر الأصيلة، من كتب السيرة النبوية، ابتداءً من سيرة ابن إسحاق، وتهذيب ابن هشام لسيرة ابن إسحاق، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، وتاريخ ابن خياط، وتاريخ اليعقوبي، وأخبار مكة للفاكهي، فضلاً عن كتب السنة النبوية الشريفة مثل الصحاح والسنن والمسانيد وشروحها، وكتب اللغة، ومعاجم البلدان، والتراجم، وكذلك الإفادة من آراء الباحثين المعاصرين.

والتساؤل الذي يثير الاهتمام هو: كيف يكون لأهل العراق دور في عصر الرسالة لمواساة الرسول الكريم محمد (ﷺ) ومؤازرته، ومعروف لدى الجميع أن العراق لم يفتح إلا بعد عصر الرسالة، في العصر الراشدي، وقد بدأت عمليات الفتح في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، واستكملت في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). وجواب ذلك فهو أنه كان لأهل العراق حضور فعلي في عصر الرسالة، رغم أنه لم يفتح إلا في العهد الراشدي، فقد كانوا يمدون صاحب الرسالة بالعون في أخطر الظروف، ويظهر من قول عداس لسيده أحد أبناء ربيعة: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل، مواساة عظيمة، فلئن آذاه قومه، فهذا وافد العراق من نينوى، يكب على يديه ورجليه ويقبلهما، ويشهد له بالرسالة، وأن هذا لقدر رباني، يسوق من نينوى من يؤمن بالله ورسوله حيث الصد من أقرب الناس إليه.

ومن الناحية الجغرافية فإنَّ اسم العراق كان شائعاً في الاستعمال في عصر الرسالة والراشدي، ومن يرجع إلى كتب البلدانيين العرب يرى أنهم إنما يطلقون اسم العراق للدلالة على جميع الأراضي المتمثلة بالعراق الحديث تقريباً[1]، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك.

وأخيراً من الله تعالى وحده التوفيق، وهو ولي ذلك فنعم المولى ونعم النصير، والله من وراء القصد.

أولاً. زيد بن حارثة:

يعد زيد بن حارثة (رضي الله عنه) أول شخص من أهل العراق، كان له دور بارز في مصاحبة النبي (ﷺ) قبل البعثة وبعدها، وذلك باعتباره صاحب النبي (ﷺ)، ومتبناه بحسب القيم والتقاليد التي كانت سائدة في الجزيرة العربية قبل الإسلام،

(1) عامر سليمان ، محاضرات في التاريخ القديم (مؤسسة الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل :1978) ،ص27.

وبعد البعثة كان من المسلمين الأوائل، وقد نقل عن الزهري قوله: "ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة"[1].

أما عن كيفية مجيء زيد (رضي الله عنه) من العراق إلى مكة، فقد حفلت بها مصادر التاريخ الإسلامي عموماً. إذ تشير تلك الكتب إلى أن زيداً هو في الأصل ينتمي إلى قبيلة كلب العربية[2]، التي كانت تسكن في منطقة الجزيرة في العراق.

لقد ذكرت الروايات أن أم زيد بن حارثة هي سعدى بنت ثعلبة من بني ينعقد من طيء[3]، كانت قد خرجت يوماً ومعها زيد لتزور قومها في بلاد الشام، فأغارت خيل لبني القين بن جسر[4] في الجاهلية، فمروا على أبيات بني ينعقد رهط أم زيد، فاحتملوا زيداً معهم من ضمن السبي، وهو يومئذٍ غلام صغير في

(1) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النميري، الإستيعاب، تحقيق: علي محمد البجاوي (ط1، دار الجيل، بيروت: 1412هـ)، ج2، ص546؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ط1، دار الجيل، بيروت: 1992)، ج6، ص600؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص540؛ هنالك اختلاف في المصادر في تعيين المسلمين الأوائل، وقد حاول أحد العلماء أن يجمع بين هذه الأخبار المختلفة بالقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الغلمان علي بن أبي طالب، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال الحبشي (رضي الله تعالى عنهم جميعاً). (القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني (ط2، دار الشعب، القاهرة: 1372هـ)، ج8، ص237).

(2) الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش (ط2، دار خضر، بيروت: 1414هـ)، ج3، ص264؛ ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب (دار المعرفة، بيروت: 1397هـ)، ج7، ص87.

(3) ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: أكرم ضياء العمري (ط2، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت: 1397هـ)، ج1، ص6؛ ابن عبد البر، الإستيعاب، ج2، ص543.

(4) الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1990)، ج3، ص235؛ ابن عبد البر، الإستيعاب، ج2، ص543؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا (ط1، دار صادر، دار الكتب، بيروت: 1992)، ج3، ص347؛ ابن أسد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، مسائل الإمام أحمد، تحقيق: فضل الرحمن دين محمد (ط1، الدار العلمية، دلهي: 1988)، ج1، ص87؛ ابن حجر، الإصابة، ج2، ص598؛ ابو الطيب، محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود (ط2، دار الكتب العلمية، بيروت: 1415هـ)، ج6، ص45.

الثامنة من العمر[1]، فوافوا به سوق عكاظ[2] فعرضوه للبيع فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بنت خويلد بـ (400) درهم[3]؛ وقيل: بـ (600) درهم[4]؛ وقيل: بـ (700) درهم[5].

فلما تزوج الرسول (ﷺ) خديجة (رضي الله عنها) وهبته له[6]، وكان ذلك قبل البعثة، وذكر أنَّ خديجة كانت آنذاك عند رسول الله (ﷺ)، وقد قال ابن إسحاق: "وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة وصيف، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد فاختارت زيداً فأخذته، فرآه رسول الله (ﷺ) عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فاعتقه رسول الله (ﷺ) وتبناه، وذلك قبل أن يوحى إليه"[7].

وفي رواية لابن أبي شيبة في مصنفه عن هذه المسألة قال: "أبصر النبي (ﷺ) زيد بن حارثة غلاماً ذا ذؤابة قد أوقفه قومه بالبطحاء يبيعونه، فأتى خديجة فقال: رأيت غلاماً بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه، ولو كان لي قالت: وكم ثمنه، قال: سبعمائة، قالت: خذ سبعمائة واذهب فاشتره، فاشتراه فجاء به إليه قال: أما أنه لو كان لي لأعتقته، قالت: فهو لك فاعتقه"[8].

---

(1) ابن عبد البر، الإستيعاب، ج2، ص543.

(2) وقيل: اشتراه حكيم بن حزام من سوق حباشة، وكانت مجمعاً للعرب يتسوقون بها في كل سنة. (ابن عبد البر، الإستيعاب، ج2، ص543).

(3) الحاكم، المستدرك، ج3، ص235؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص347؛ ابن حجر، الإصابة، ج2، ص598؛ ابن أسد، مسائل الإمام أحمد، ج1، ص378.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص272؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي (ط9، دار الكتب العلمية، بيروت: 1413هـ)، ج3، ص47.

(5) ابن أبي شيبة، ابو بكر عبد الله بن محمد الكوفي، مصنف بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت (ط1، مكتبة الرشد، الرياض: 1409هـ)، ج7، ص341.

(6) ابن أبي شيبة، المصنف، ج7، ص341.

(7) ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن عبد الملك المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وزميلاه (مكتبة التربية، بغداد: د/ت)، ج2، ص87؛ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي (ط2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل: 1983)، ج5، ص83.

(8) ابن أبي شيبة، المصنف، ج7، ص341.

لقد ذكرت المصادر أن والد زيد وعمه عندما علما بمصيره، وأنه انتهى به المطاف إلى مكة، فقد جاءا إليها لاسترداده، فلما طلبوا ذلك من النبي (ﷺ)، وكان ذلك قبل البعثة[1]، فإنَّ النبي (ﷺ) خير زيداً بين أن يذهب مع أبيه وعمه، وإن شاء بقي معه، فاختار زيد (رضي الله عنه) البقاء مع رسول الله (ﷺ)، وقد قال للنبي (ﷺ): "ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمنزلة الأب والعم، فقالا – أي والد زيد وعمه – ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك، قال: نعم أني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي اختار عليه أحداً"[2].

فلما رأى رسول الله (ﷺ) هذا الموقف من زيد، أخرجه إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه، فدعي منذ ذلك الحين بـ (زيد بن محمد) إلى أن جاء الإسلام وحرم التبني، وذلك في العهد المكي من الدعوة الإسلامية، بنزول قوله تعالى: **(ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)**[3]. فدعي زيد يومذاك بـ (زيد بن حارثة)[4]، ودعي الأدعياء إلى آبائهم.

---

(1) ابن هشام، السيرة، ج2، ص87–88.

(2) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج1، ص380؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج3، 348.

(3) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 5.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا (ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت: 1987)، ج4، ص1795؛ مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت: د/ت)، ج4، ص1884؛ ابن حبان، محمد بن أحمد بن حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1993)، ج 15، ص516؛ الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وزميلاه (دار إحياء التراث العربي، بيروت: د/ت)، ج5، ص353؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (مكتبة دار الباز، مكة المكرمة: 1994)، ج7، ص161؛ ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد (مؤسسة قرطبة، مصر: د/ت)، ج2، ص77؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص543؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج1، ص381.

لقد كانت لزيد فضائل لم تكن لغيره من الصحابة، منها أنه لم يسمِ الله تعالى في كتابه الكريم صحابياً باسمه إلا زيداً (رضي الله عنه)[1] وذلك في قوله تعالى: **(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا)**[2]. وقد نزلت هذه الآية في مسألة زواج الرسول (ﷺ) من زينب بنت جحش بعد أن فارقها زوجها السابق زيد بن حارثة[3].

إذ تكلم المنافقون في ذلك، وقالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله تعالى قوله[4]: **(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ..)**[5]. مبيناً أن الابن بالتبني لا يمكن أن يكون بمنزلة الابن الذي من هو من الصلب، وقد تم إلغاء عادة التبني.

وقد ذكرنا أنَّه كان لزيد صحبة مع النبي (ﷺ) قبل البعثة، فقد كان يرافقه أينما ذهب، وقد أوردت المصادر عدة نماذج عن صحبة زيد للنبي (ﷺ)[6]. منها ما ذكر على لسان زيد نفسه، حيث قال: "طفت مع رسول الله (ﷺ) ذات يوم، فلمست بعض الأصنام، فقال لي رسول الله (ﷺ): لا تمسها، فقلت: لأعودن حتى

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص23.
(2) الأحزاب، 37.
(3) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق: أبو عبد الله محمود بن الجميل (ط1، مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة، القاهرة: 2002)، ص222–223.
(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص348؛ السيوطي، لباب النقول، ص223.
(5) الأحزاب، 40.
(6) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبي، كتاب السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار (ط1، دار الفكر، بيروت: 1978)، ص118؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج5، ص86–89؛ الحاكم، المستدرك، ج3، ص238؛ أبو بكر الشيباني، أحمد بن عمر بن الضحاك، الآحاد والمثاني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة (ط1، دار الراية، الرياض: 1991)، ج1، ص196؛ البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، المسند، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (ط1، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة: 1409هـ)، ج4، ص165.

أبصر ما يقول، ثم مسستها، فقال: ألم تنه عن هذا، قال – أي زيد –: فوالذي أكرمه بالكتاب ما مسستها حتى أنزل عليه الكتاب"[1]. وقد أوردت المصادر عدة حوادث وقعت لزيد بن حارثة وهو بصحبة النبي (ﷺ) قبل البعثة، لا مجال لذكرها هنا[2].

أما مواقفه بعد البعثة فهي الأخرى كثيرةً أيضاً، إلا أن من أبرز تلك المواقف التي هي من صميم موضوعنا، خروجه مع النبي (ﷺ) في السنة العاشرة من البعثة إلى الطائف لمحاولة نشر الإسلام فيها، بعد أن فقد رسول الله (ﷺ) أبرز سندين له في مكة، وهما خديجة (رضي الله عنها)، وعمه أبو طالب الذي كان يمنعه من المشركين ممن كانوا مثل رأيه فيه، لذا فقد سمى النبي (ﷺ) ذلك العام بـ (عام الحزن)، حيث كانت وفاتهما مأساة بالنسبة للمسلمين، وكذلك الرسول (ﷺ)، إذ تجرأت عليه قريش.

لقد ذكر ابن سعد رواية عن محمد بن جبير بن مطعم قال فيها: "لما توفي أبو طالب تناولت قريش من رسول الله (ﷺ) واجترؤا عليه فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة ولم يشر ابن إسحاق إلى أن زيد بن حارثة كان مع النبي (ﷺ) في هذه الرحلة، في حين أشار إليه ابن سعد بوضوح، وهذا الأرجح أي رأي ابن سعد، وذلك لأن مقتضيات السفر في ذلك الوقت كانت تتطلب أن لا يخرج شخص لوحده، خاصةً وأن المسافة بين مكة والطائف تقدر بحوالي (60) ميلاً، أي ما يقارب من (100) كم، لذا فإن ما ذهب إليه ابن سعد هو الأصح، وكذلك فإنه كانت لزيد بن حارثة كما ذكر ابن سعد مع رسول الله (ﷺ) مواقف كثيرة.

وذلك في ليالٍ بقين من شوال سنة عشر من حين نبيء رسول الله (ﷺ)"[3].

---

(1) الطبراني، المعجم الكبير، ج5، ص87؛ أبو بكر الشيباني، الآحاد والمثاني، ج1، ص200.

(2) لمن يريد الاطلاع على المزيد من تلك الأحداث ينظر: الطبراني، نفسه، ج5، ص86؛ الحاكم، المستدرك، ج4، ص165؛ أبو بكر الشيباني، نفسه، ج1، ص196؛ البزار، المسند، ج4، ص165–166.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج1، ص211.

ونقل بن سعد عن محمد بن عمر[1] بغير هذا الإسناد أنه قال: "فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه فلم يجيبوه، وخافوا على أحداثهم فقالوا: يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمجابك من الأرض، وأغروا به سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أنَّ رجلي رسول الله (ﷺ) لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى شج في رأسه شجاج فانصرف رسول الله (ﷺ) من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون، لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة"[2].

يتبين لنا مما سبق أنَّ رسول الله (ﷺ) عندما خرج إلى الطائف فإنَّ أهلها استقبلوه أسوأ استقبال، وقالوا في حقه كلاماً مؤذياً جداً، إلا أن النبي (ﷺ) تحمل كل ذلك في سبيل الله تعالى، ولم يكتفِ مشركوا الطائف بالسب وخشونة المعاملة، حيث إنهم تمادوا أكثر من ذلك بأن أغروا به سفهاءهم وصبيانهم حتى اجتمعوا على شكل صفين ليرموا النبي (ﷺ) وصاحبه زيد بن حارثة بالحجارة، حتى أن قدمي رسول الله (ﷺ) لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، وقد نال هو الآخر نصيباً من الأذى، إذ شج في رأسه شجاج عدة.

هذا الدور المشرف قام به زيد بن حارثة مع خاتم أنبياء الله تعالى ورسله، وخير خلقه، يقيه بنفسه، بل روحه دون رسول الله (ﷺ) في الوقت الذي تخلى عن رسول الله (ﷺ) أقرب أهله، وتناولوه بالأذى الشديد، وهو شخص من أهل العراق في الأصل، إذ ربما هذا قد يعني الكثير بالنسبة للمفكرين والمنظرين الذين ينظرون إلى الأحداث، وتاريخ الأمم والأديان نظرة شمولية أوسع، من النظرة الآنية الضيقة.

لقد كان رسول الله (ﷺ) يحب زيد بن حارثة كثيراً، لذا فقد كان يقال له: "حب رسول الله (ﷺ)"[3]. وقد روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: "أحب الناس إلىَ

(1) يقصد هنا: محمد بن عمر الواقدي صاحب كتاب (المغازي الكبرى).
(2) ابن سعد، السابق، ج1، ص212.
(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص546.

من أنعم الله عليه، وأنعمت عليه"[1]. هنا يعني زيد بن حارثة، وقد أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رسول الله (ﷺ) بالعتق"[2].

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "ما بعث رسول الله (ﷺ) زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمَّره عليه، ولو بقي بعده لاستخلفه"[3]. وكان النبي (ﷺ) قد أمر أسامة بن زيد بن حارثة مولاه، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتجهز الناس لذلك، للخروج تحت قيادة أسامة بن زيد وكان فيهم المهاجرون الأولون، ومن كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ولم يلبث أن توفي رسول الله (ﷺ)، فلما استخلف أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أنفذ حملة أسامة هذه لأن الرسول (ﷺ) كان قد أوصى بها، رغم حاجة الخليفة الشديدة إلى الجيش للوقوف بوجه المرتدين.

أما عن مواقفه التي شهدها فقد ذكر أهل السير عن زيد أنه شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر، واستخلفه رسول الله (ﷺ) على المدينة حين خرج إلى المريسيع، وخرج أميراً في سبع سرايا[4].

قال الواقدي: "أول سرايا زيد إلى القردة، ثم إلى الجموح، ثم إلى العيص، ثم إلى الطرف، ثم إلى حسمي، ثم إلى أم قرفة، ثم تاميره على غزوة مؤتة واستشهد فيها وهو ابن خمس وخمسين سنة"[5].

ذكر ابن حجر في الإصابة[6] أقوال عدة للرسول (ﷺ) قالها في شأن زيد بن حارثة يتبين منها مدى حبه (ﷺ) له، فمن أبرز تلك الأقوال:

---

(1) نفسه، ج2، ص546.

(2) نفسه، ج2، ص546.

(3) قال الحاكم عن هذا الحديث: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، أي أنه على شرط الشيخين. (الحاكم، المستدرك، ج3، ص238؛ وينظر: أبو بكر الشيباني، الآحاد والمثاني، ج1، ص196؛ ابن حجر، فتح الباري، ج7، ص87

(4) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج1، ص601؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص349؛ ابن أسد، مسائل الإمام أحمد، ج1، ص88.

(5) ابن حجر، الإصابة، ج2، ص601.

(6) نفسه، ج2، ص601.

- قوله (ﷺ) لزيد: "يا زيد أنت مولاي ومني وإلي، وأحب الناس إليَ"[1].
- عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما): قال: قال رسول الله (ﷺ): "وأيم الله إنْ كان لخليقاً للإمارة . يعني زيد بن حارثة . وان كان لمن أحب الناس إليَ"[2].
- روى الترمذي وغيره من حديث عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: "قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله (ﷺ) في بيتي، فأتاه فقرع الباب فقام إليه حتى اعتنقه وقبله"[3].

لما كان النبي (ﷺ) يحب زيد بن حارثة وابنه أسامة، فإن أصحابه (رضي الله عنهم) كانوا يحبونهما أيضاً، لأن رسول الله (ﷺ) كان يحبهما.

لقد روي عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنَّه قال: إن عمر (رضي الله عنه) فرض لأسامة أكثر مما فرض لي، فلما قال له ابنه في ذلك، رد عليه عمر (رضي الله عنه) بقوله: "أنه كان أحب إلى رسول الله (ﷺ) منك، وأن أباه كان أحب إلى رسول الله (ﷺ) من أبيك"[4].

ثانياً. عداس بن متى (فتى الموصل):

بعد أن أدى زيد ما على عاتقه لمواساة النبي (ﷺ) ومؤازرته ومناصرته أثناء خروجه معه إلى الطائف، وأصابه ما أصابه مع رسول الله (ﷺ)، وبعد أن أخرج أهل الطائف النبي (ﷺ) وصاحبه زيد من مدينتهم وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وهما فيه، وأبنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي النبي (ﷺ) من سفهاء أهل الطائف.

---

(1) قال ابن حجر عن هذا الحديث: "أخرجه ابن سعد بإسناد حسن". (ابن حجر، الإصابة، ج2، ص601).

(2) قال ابن حجر عن هذا الحديث: "أخرجه البخاري". (ابن حجر، الإصابة، ج2، ص601).

(3) ابن حجر، نفسه، ج2، ص601.

(4) نفسه، ج2، ص601. (قال ابن حجر عن هذا الحديث: أنه صحيح).

هنا تشاء الحكمة الإلهية أن يكون الشخص الآخر القادم ليواسي رسول الله (ﷺ) ويخفف عنه ما جرى له، أن يكون من أهل العراق أيضاً، وبالتحديد من نينوى.

قال ابن إسحاق: "فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة، وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس، فقالا له: خُذ قطفاً من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له: يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله (ﷺ)، ثم قال له: كُلْ فلما وضع رسول الله (ﷺ) فيه يده قال: بسم الله، ثم أكل فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله (ﷺ): ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس، وما دينك؟ قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله (ﷺ): من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله (ﷺ) ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فأكب عداس على رسول الله (ﷺ) يقبل رأسه ويديه وقدميه"[1].

فلما رأى ابنا ربيعة ما حدث قال أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس: ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: "يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه"[2].

هكذا نلاحظ أن وافد أهل العراق وقف إلى جانب النبي (ﷺ) وقال كلمته بأنه ما في الأرض خير من رسول الله (ﷺ)، هذا الموقف وقفه عداس من النبي (ﷺ) في الوقت الذي لم يكن للنبي (ﷺ) غير الله تعالى يدافع عنه، لذا فإن هذا الموقف سيبقى مرتسماً في أذهان المسلمين والناس جميعاً إلى يوم القيامة.

(1) ابن هشام، السيرة، ق1، ص421.
(2) نفسه، ق1، ص421.

أما ما يتعلق بمسألة إسلام عداس، فإن هنالك من الأدلة في المصادر تشير إلى أنه أسلم، وقد ناقش معظم تلك الأدلة ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة، فمن تلك الأدلة:

1. منذ أنْ كان النبي (ﷺ) في مكة، وأول ما نزل عليه الوحي، فقد ذكرت المصادر أن خديجة (رضي الله عنها) قصدت عداس وكان نصرانياً، لتسأله عن جبريل (عليه السلام) فقال لها: هو أمين الله بينه وبين النبيين[1]. ثم بعد ذلك قصدت ورقة بن نوفل وهو ابن عم لها لتسأله عن نفس الأمر[2]. يظهر من هذا أن عداس كان يعرف النبي (ﷺ) منذ بدء نزول الوحي عليه، لذا فان موقفه في الطائف مع النبي (ﷺ) كان أمراً طبيعياً.
2. وفي الطائف بعد الحوار الذي دار بين النبي (ﷺ) وعداس، عرف عداس صفة النبوة، فإنه أكب على رسول الله (ﷺ) يقبل رأسه ويديه وقدميه حسب رواية ابن إسحاق، فان كل هذا يدل على أنه اسلم.

   وكذلك عندما رجع عداس قال له عتبة وشيبة: يا عداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه[3]. ورد عداس عليهما بقوله: "يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي"[4]. وفي هذا الحوار الذي دار بين عداس وبين سيديه دلالة واضحة على إيمان عداس بالنبي (ﷺ).
3. ذكر اليعقوبي في تاريخه أن عداس عندما سمع كلام النبي (ﷺ) فإنه اسلم، حيث قال: "ووافاه بالطائف عتبة وشيبة بن ربيعة، ومعهما غلام لهما نصراني، ويقال له عداس، فوجها به إلى رسول الله (ﷺ)، فلما سمع كلامه أسلم ورجع رسول الله (ﷺ) إلى مكة[5]". وهذا نص صريح لا لبس فيه، عن

(1) ابن حجر، فتح الباري، ج8، ص770.
(2) ابن حجر، الإصابة، ج4، ص467.
(3) ابن هشام، السيرة، ق1، ص421؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص14.
(4) نفسه، ق1، ص421؛ نفسه، ج3، ص15.
(5) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، تاريخ اليعقوبي (دار صادر، بيروت: 1407هـ)، ج2، ص36.

إسلام عداس، واليعقوبي من المؤرخين المتقدمين نسبياً، إذ توفي في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، وذلك في سنة (284هـ/ 879م).

4. أورد ابن حجر أثناء حديثه عن قصة عداس مع النبي (ﷺ) في الطائف رواية قال فيها: "وذكر سليمان التيمي في السيرة له أنه قال للنبي (ﷺ) . أي عداس . أشهد أنك عبد الله ورسوله"[1].
5. ولعداس موقف في معركة بدر يظهر منه أنه كان مؤمناً بالنبي (ﷺ)، فقد نقل أبن حجر عن الواقدي هذا الموقف لعداس في معركة بدر عن حكيم بن حزام قال: "فإذا عداس جالس على الثنية البيضاء والناس يمرون عليها فوثب لما رأى شيبة وعتبة وأخذ بأرجلهما يقول: بأبي وأمي أنتما والله إنَّه لرسول (ﷺ) وما تساقان إلا إلى مصارعكما، قال: ومر به العاص بن شيبة فوجده يبكي فقال: ما لك، فقال: يبكيني سيداي وسيدا هذا الوادي فيخرجان ويقاتلان رسول الله، فقال له العاص: إنه لرسول الله؟!، فانتفض عداس انتفاضة شديدة، واقشعر جلده وبكى، وقال: إي والله إنه لرسول الله إلى الناس كافة، وذكر الواقدي من وجه آخر أنه نهاهما عن الخروج وهما بمكة فخالفاه"[2].

إنَّ هذا النص الأخير الذي أورده الواقدي عن موقف عداس من مشاركة سيديه عتبة وشيبة في معركة بدر يتفق مع سياق الأحداث التي رافقت معركة بدر، والتي أشارت إليها المصادر.

فربما كان لتحذير عداس هذا تأثير كبير على موقف عتبة بن ربيعة، وكذلك موقف حكيم بن حزام الذي روى عنه الواقدي هذه الرواية، إذ ذكرت الروايات التاريخية أنهما كانا من المترددين في المشاركة بالمعركة، خاصةً بعد أن جاءتهم أخبار نجاة قافلتهم التجارية التي خرجوا لنجدتها والتي كانت بقيادة أبو سفيان بن حرب، إلا إنهما شاركا في المعركة وهما غير راغبين فيها، وإنما مجاراةً لأبي جهل[3].

---

(1) ابن حجر، الإصابة، ج4، ص467.

(2) نفسه، ج4، ص467.

(3) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة (مطبعة جامعة الموصل: 1991)، ص227؛ وينظر تفصيلة هذه المسألة في سيرة ابن هشام، ق1، ص622-623.

لذا يرجح أن عداس كان مسلماً، إلا أنه لم يستطع الهجرة إلى المدينة، وذلك لأنه كان عبداً مملوكاً لأبناء ربيعة، وقد أشارت آيات من القرآن الكريم إلى فئة من الذين أسلموا، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يهاجروا إلى المدينة مع المسلمين المهاجرين باسم (المستضعفين).

لقد أشارت بعض المصادر إلى أن بعض المستضعفين ممن فتنوا عن دينهم قد ساهموا تحت تأثير قومهم في محاربة المسلمين في معركة بدر، لذا فقد أدان القرآن الكريم موقفهم، وعدهم ظالمين لأنفسهم، وأن مصيرهم إلى النار[1]: **(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)**[2].

ذكر ابن إسحاق أسماء خمسة من هؤلاء المستضعفين[3]، حيث قال عنهم: "وكان الفتية الذين قتلوا ببدر، فنزل فيهم من القرآن، فيما ذكر لنا... فتيةً مسلمين"[4]. ثم بعد أن أشار ابن إسحاق إلى أسمائهم وعشائرهم قال: "وذلك أنهم كانوا أسلموا، ورسول الله (ﷺ) بمكة، فلما هاجر رسول الله (ﷺ) إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر، فأُصيبوا به جميعاً"[5].

يلاحظ أنَّ الأسماء الخمسة من المستضعفين الذين ذكرهم ابن إسحاق هم جميعاً من أبناء سادة مكة ورجال الملأ، وليس فيهم أحد من العبيد أو الموالي،

---

(1) الملاح، نفسه، ص239.

(2) النساء، 97.

(3) ابن هشام، السابق، ق1، ص641. الفتية الخمسة من المستضعفين هم: الحارث بن زمعة بن الأسود؛ أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة؛ أبو قيس بن الوليد بن المغيرة؛ علي بن أمية بن خلف؛ العاص بن منُبه بن الحجاج. يلاحظ بأن هؤلاء المستضعفين الذين أشار إليهم ابن إسحاق، بأنهم جميعاً من أبناء سادة مكة، الذين كانوا يعُرفون بـ (رجال الملأ) في مكة، وليس فيهم أحدٌ من العبيد أو الفقراء أو الموالي.

(4) نفسه، ق1، ص641.

(5) نفسه، ق1، ص641.

وليس من ضمنهم اسم عداس الذي ذكرت بعض المصادر أنَّه شارك في معركة بدر مع المشركين فقتل فيها[1].

وفي رواية أخرى أن عداس لم يقتل في معركة بدر، بل رجع ثم مات بعد ذلك[2].

الذي يبدو من ما سبق من الأدلة أن عداس ربما كان قد خرج مع المشركين إلا أنه لم يشارك في القتال، بدليل تحذيره لابني ربيعة من أنهما سيلقيان مصرعيهما إن هما قاتلوا رسول الله (ﷺ)، وذلك ما حدث فعلاً حيث قتل الاثنان في بدر، فكيف يشارك عداس في قتال رسول الله (ﷺ) وهو من آمن به وأكب عليه يقبله، قبل ذلك بعدة سنوات في الطائف.

وكذلك الدليل الذي يرجح أن عداس لم يشارك في بدر، وكذلك لم يقتل فيها، أنَّ الآية القرآنية التي نزلت تتوعد المستضعفين، الذين رضوا بأنْ يكونوا مع المشركين ضد رسول الله (ﷺ)، جاءت بعدها مباشرةً آية كريمة فيها استثناء من وعيد الله تعالى للمستضعفين الذين لم يجدوا حيلةً يتخلصوا بها من أوليائهم المشركين، سواء كانوا من الرجال أو الولدان أو النساء، وذلك في قوله تعالى: **(إِلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا ۞ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)**[3] . ربما كان عداس ضمن هذا الاستثناء الإلهي.

ثالثاً. صهيب بن سنان:

(1) ابن حجر، الإصابة، ج4، ص467.
(2) نفسه، ج4، ص467.
(3) النساء، 98.

لقد كان لصهيب[1] صحبة مع النبي (ﷺ) قبل البعثة وبعدها أيضاً، وكان من أقرب الناس إليه (ﷺ)، وهو صهيب بن سنان ويكنى أبا يحيى النمري، من النمر بن قاسط ويعرف بالرومي لأنه أقام في الروم مدة، وهو من أهل الجزيرة سبي من نينوى من أعمال الموصل[2].

وقد أوردت المصادر سلسلة طويلة من نسبه حتى تنتهي إلى النمر بن قاسط بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[3]. قال ابن سعد: "وكان أبوه سنان بن مالك أو عمه عاملاً لكسرى على الأُبلة[4]، وكانت منازلهم بأرض الموصل، ويقال: كانوا في قرية على شط الفرات مما يلي الجزيرة والموصل، فأغارت الروم على تلك الناحية فسبت صهيباً وهو غلام صغير... فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن فابتاعته كلب منهم، ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي منهم فاعتقه فأقام معه بمكة إلى أن هلك عبد الله بن جدعان، وبعث النبي لما أراد الله به من الكرامة ومن به عليه من الإسلام"[5]. وأما أهل صهيب وولده فيقولون:

(1) نقل ابن حجر أن اسمه كان عميرة فسماه الروم صهيباً؛ وقيل: كان اسمه عبد الملك؛ ونقل البغوي أن سبب تسميته بـ (صهيب) أنه كان أحمر شديد الصهوبة تشوبها حمرة، وكان كثير شعر الرأس يخضب بالحناء. (ابن حجر، الإصابة، ج3، ص450).

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص17.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص226؛ ابن هشام، السيرة، ق1، ص261؛ ابو بكر الشيباني، الآحاد والمثاني، ج1، ص217؛ ابن حجر، الإصابة، ج3، ص449؛ ابن قانع، عبد الباقي بن قانع أبو الحسن، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي (ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة: 1418هـ)، ج2، ص17؛ السخاوي، شمس الدين السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق: منيرة ناجي سالم (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1993)، ج1، ص458؛ الربعي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد (ط1، دار العاصمة، الرياض: 1410هـ)، ج1، ص131.

(4) الأُبلة: وهي بلدة تقع على شاطئ دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مُصرت في أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكانت الأُبلة حينئذٍ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص77).

(5) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص226.

بل هرب من الروم حين بلغ وعقل، فقدم مكة، فحالف عبد الله بن جدعان، وأقام معه إلى أن هلك"[1]. ويبدو أنه بعد موت ابن جدعان فإنَّه أصبح مولىً لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[2].

أما عن إسلام صهيب فإنه أسلم هو وعمار بن ياسر (رضي الله عنهما) في يوم واحد منذ أن كان النبي (ﷺ) في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي عند الصفا، وكان إسلامه بعد إسلام بضع وثلاثين رجلاً، وعلى الأرجح فإنَّ ذلك كان في نهاية السنة الثالثة من البعثة أو بداية السنة الرابعة[3]، وذلك لأن المصادر ذكرت أنه بعد إسلام عمار وصهيب أعلن النبي (ﷺ) دعوته، وبذلك فقد انتقلت الدعوة الإسلامية من المرحلة السرية إلى المرحلة العلنية، ومعلوم أن السرية في الدعوة استمرت ثلاث سنوات.

قال عمار بن ياسر (رضي الله عنه) وهو يتحدث عن كيفية إسلامه وصهيب: "لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله فيها، فقلت: ما تريد؟ فقال لي: ما تريد أنت؟ فقلت: أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك، قال: فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك، حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون فكان إسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً"[4].

كان صهيب (رضي الله عنه) من المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا يعذبون في الله بمكة[5]. وقد انزل الله تعالى فيهم قوله: **(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)**[6].

---

(1) نفسه، ج3، ص226.

(2) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد ابو حاتم التميم البستي، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهر (دار الكتب العلمية، بيروت: 1959)، ج1، ص20.

(3) المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، تحقيق: علي محمد البجاوي (ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: 1992)، ج4، ص146.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص227؛ ابن حجر، الإصابة، ج3، ص450.

(5) ابن سعد، نفسه، ج3، ص227.

(6) النحل، 110.

يبدو أن صهيباً بعمله في التجارة مع عبد الله بن جدعان قد أصبحت لديه ثروة كبيرة في مكة، لذا فإنَّه عندما أراد الهجرة إلى المدينة بماله فإنَّ قريش منعته من ذلك، فقد قال كفار قريش لصهيب: "أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك؛ فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلتُ لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فاني جعلت لكم مالي، قال: فبلغ ذلك رسول الله (ﷺ) فقال: ربح صهيب، ربح صهيب"[1]. فلما وصل صهيب (رضي الله عنه) إلى المدينة، قال: "يا رسول الله ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام"[2].

وفي رواية أخرى أنَّ صهيباً (رضي الله عنه) حين أقبل مهاجراً نحو المدينة، واتبعه نفر من قريش فنزل من راحلته وانتشل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إلى حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء فافعلوا ما شئتم، فان شئتم دللتكم على مالي، وخليتم سبيلي قالوا: نعم، ففعل فلما قدم على النبي (ﷺ) قال: ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى، قال: ونزلت[3]: **(وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)**[4].

كان صهيب وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) آخر الناس في الهجرة إلى المدينة، وذلك في منتصف شهر ربيع الأول ورسول الله (ﷺ) بقباء[5].

عندما هم النبي (ﷺ) بالهجرة فإنَّ صهيباً كان على علم بهجرته، لذا فإنَّه كان يفترض أن يكون صهيب ثالث الرسول (ﷺ) وأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في الهجرة، ولكن أعاقه الكافرون عن ذلك، لذلك قال صهيب لأبي بكر (رضي الله

(1) ابن هشام، السيرة، ق1، ص477.

(2) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان (ط4، دار الكتاب العربي، بيروت: 1405هـ)، ج1، ص152؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص458؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص23.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص228.

(4) البقرة، 207.

(5) ابن سعد، السابق، ج3، ص228.

عنهما) معاتبه: "وعدتني أنْ تصطحبني فخرجت وتركتني، ويقول: وعدتني يا رسول الله أن تصاحبني فانطلقت وتركتني فأَخَذَتني قريش، فحبسوني، فاشتريت نفسي وأهلي بمالي"[1]. وكانت مكافأة الرسول (ﷺ) لصهيب لدوره بأنْ بشره بأنه الرابح في صفقته مع قريش، وكذلك نزل القرآن الكريم كما ذكرنا لتخليد ما قام به صهيب في سبيل الله بأن تنازل عن كل ما يملك لإرضاء الله تعالى.

وفي بعض الروايات أن الرسول (ﷺ) عندما أراد الخروج بعث أبا بكر مرتين أو ثلاثاً إلى صهيب فوجده يصلي، فقال: أبو بكر للنبي (ﷺ) وجدته يصلي، وكرهت ان أقطع عليه صلاته، فقال: أصبت وخرجا من ليلتهما، فلما أصبح صهيب، جاء إلى منزل أبي بكر (رضي الله عنه) ليسأل عنه وعن الرسول (ﷺ) كي يهاجر معهم، فقالت له زوجة أبي بكر أم رومان: "الا أراك ههنا، وقد خرج أخواك"[2] فرجع صهيب إلى بيته ليحمل معه سيفه وجعبته وقوسه، وخرج حتى قدم على الرسول (ﷺ) وأبي بكر وكانا لا يزالان في قباء الواقعة على الضاحية الجنوبية من المدينة المنورة.

لقد كان صهيب (رضي الله عنه) رجلاً مزاحاً فكهاً[3]، وقد ذكرت المصادر أنه عندما قدم على النبي (ﷺ) وهو بقباء، وكان مع النبي (ﷺ) أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) وبين أيديهم رطب، وكان صهيب قد رمد بالطريق، وأصابته مجاعة شديدة، فوقع صهيب يأكل الرطب، فقال عمر: يا رسول الله ألا ترى إلى صهيب يأكل الرطب، وهو رمد، فقال: رسول الله: تأكل الرطب وانت رمد، فقال صهيب: وإنما آكله بشق عيني الصحيحة، فتبسم رسول الله (ﷺ)[4] ؛ وفي رواية أخرى ضحك النبي (ﷺ)[5] .

كما كانت لصهيب مواقف في الهجرة فكذلك له مواقف في المدينة أيضاً، حيث كان من المقربين من الرسول (ﷺ)، إذ شهد بدراً، وأُحداً، والخندق والمشاهد

(1) نفسه، ج3، ص229.
(2) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص152.
(3) المقدسي، البدء والتاريخ، ج5، ص100.
(4) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص228–229؛ المقدسي، نفسه، ج5، ص100–101.
(5) المقدسي، نفسه، ج5، ص101.

كلها مع الرسول (ﷺ)[1] ، وكان أحد أهل الصفة في المدينة[2]، لذلك حاول أبو نعيم الأصبهاني أن يرجع باصول التصوف إليه وإلى أهل الصفة فقال عن صهيب: "صهيب بن سنان بن مالك، أسرع الإجابة لله تعالى وللرسول، وقد قيل إن التصوف الأخذ بالأصول، والترك للفضول والتشمير للوصول"[3].

قال ابن حجر في الإصابة[4]: "وروى الحميدي والطبراني من حديث صهيب عن طريق الستة عنه . أي عن صهيب . قال: لم يشهد رسول الله مشهداً قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم وما جعلت رسول الله بيني وبين العدو قط حتى توفي". من هذا النص يظهر لنا مدى الشجاعة التي يتمتع بها صهيب (رضي الله عنه)، وأنه كان من المقربين من النبي (ﷺ) في المدينة، كما كان كذلك في مكة، إذ لو لم يمنعه المشركون لكان ثالث ثلاثة مع الرسول (ﷺ) وصاحبه أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، كما ذكر بالتفصيل مسبقاً.

إنَّ مواقف صهيب هذه في التضحية بكل ما يملك في سبيل الله تعالى، ورسوله (ﷺ)، فقد استحق أن تنزل فيه آيات قرآنية كريمة عدة، وكذلك أن يقول في حقه رسول الله (ﷺ) ما يعلي من شأنه.

- فقد قال الرسول (ﷺ) بحق صهيب (رضي الله عنه): "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحب صهيباً حب الوالدة لولدها"[5].
- وقال الرسول (ﷺ): "السُباق أربعة، أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة، وسلمان سابق الفرس"[1].

(1) ابن سعد، السابق، ج3، ص229؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج1، ص430.
(2) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص373.
(3) نفسه، ج1، ص151.
(4) ج3، ص451.
(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص24.

- كناه الرسول (ﷺ) أبا يحيى، وذلك قبل أن يكون له ولد"[2].

لذا فقد ذكر أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال لصهيب: "ما لك تكنى ابا يحيى وليس لك ولد، وتقول أنك من العرب وأنت رجل من الروم، وتطعم الطعام الكثير وذلك سرف في المال، فقال صهيب: إنَّ رسول الله كناني ابا يحيى، وأما قولك في النسب وادعائي إلى العرب فاني رجل من النمر بن قاسط من أهل الموصل، ولكن سبيت، سبتني الروم غلاماً صغيراً بعد أن عقلت أهلي وقومي وعرفت نسبي، وأما قولك في الطعام وإسرافي فيه فإنَّ رسول الله كان يقول، إنَّ خياركم من أطعم الطعام ورد السلام، فذلك الذي يحملني على أن أطعم الطعام"[3].

كما كان صهيب مقرباً من النبي (ﷺ)، فإنه كان كذلك عند خلفائه، فهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول في حق صهيب: "نِعم الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه"[4]. ومعناه لو لم يكن فيه خوف الله لمنعته قوة دينه من معصية الله فكيف وهو خائف، أي إنَّ خوفه من الله تعالى سيزيده إصراراً على عدم معصية الله تعالى.

والأمر الآخر أنَّ صهيباً كانت له مكانة خاصة عند الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو أنه لما طعن عمر (رضي الله عنه) استنابه على الصلاة بالمسلمين إلى أنْ يتفق أهل الشورى على إمام[5]. فقال عمر (رضي الله عنه): "إنْ حدث بي حدث فليصل

---

(1) ابن حجر، الإصابة، ج3، ص451؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص458؛ الدمشقي، عبد الحي بن أحمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي (ط9، دار الكتب العلمية، بيروت: 1413هـ)، ج1، ص47.

(2) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي (ط2، دار الكتب العلمية، بيروت: 1995)، ج1، ص590.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص227؛ الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص153-154؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص25.

(4) الدمشقي، شذرات الذهب، ج1، ص47.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص18؛ ابن الأثير، الكامل، ج1، ص590؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج1، ص430.

بالناس صهيب، ثم اجمعوا أمركم في اليوم الثالث"[1]. وهكذا فإنَّ صهيباً (رضي الله عنه) كان يصلي إماماً بالمسلمين الصلوات المكتوبات بأمر من عمر (رضي الله عنه)، ولما توفي عمر (رضي الله عنه) قدموا صهيب (رضي الله عنه) فصلى عليه صلاة الجنازة[2].

لقد روى صهيب (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) نحو ثلاثين حديثاً، روى له مسلم منها ثلاثة أحاديث[3]. وقد روى عنه بنوه الثمانية عثمان وصيفي وحمزة وسعد وعباد وحبيب وصالح ومحمد، وكذلك عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وسعيد بن المسيب، وعبيد بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وكعب الأحبار وآخرون[4].

أما عن وفاة صهيب (رضي الله عنه) فتجمع المصادر أنه توفي في المدينة المنورة، في شهر شوال سنة (38هـ/) عن عمر ناهز السبعين عاماً، في خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وقد دفن بالبقيع"[5].

رابعاً. معركة ذي قار:

وقعت هذه المعركة في (ذي قار) من أرض العراق، الواقعة بين الكوفة شمالاً والناصرية جنوباً، ويحدها نهر الفرات من الغرب، أما حدودها الشرقية فمتصلة بالصحراء العربية[6]. وهو موضع فيه ماء قريب من الكوفة، كانت تقصده

(1) الذهبي، نفسه، ج2، ص26.
(2) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص229.
(3) الذهبي، السابق، ج2، ص26.
(4) نفسه، ج2، ص18.
(5) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص229؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص458؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5ن ص156؛ ابن حجر، الإصابة، ج3، ص451؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص20؛ الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، ج1، ص131؛ ابن أسد، مسائل الإمام أحمد، ج1، ص91؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد (ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت: 1948)، ج1، ص44.
(6) الحميدة، محمد سالم، سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الفترة المكية (ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001)، ص92.

قبيلة بكر بن وائل من بني شيبان في فصل الصيف، لذا فإنها سميت نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه وهو ذي قار[1].

ذكر الطبري[2] لمعركة ذي قار سبعة أيام هي: يوم قراقر، ويوم الحنو، ويوم حنو قراقر، ويوم الجبايات، ويوم ذي العجرم، ويوم الغذوان، ويوم البطحاء، وكلهن حول ذي قار.

كانت هذه المعركة الأولى التي انتصر فيها العرب ويمثلهم فيها بنو شيبان من (أهل العراق) على الفرس رغم صغر القوة الفارسية التي اشتبكت في القتال، إلا أن أهميتها كانت كبيرة، فكان أول اصطدام مسلح مباشر بين العرب والفرس ما أعطاهم الثقة بأنفسهم، وكانت بمثابة حركة استطلاعية، ومقدمة للفتوح الإسلامية التي اكتسحت الإمبراطورية الساسانية الفارسية[3].

فيما يتعلق بتاريخ هذه المعركة، فقد اختلفت المصادر في تحديد التاريخ الدقيق لها، وتبعاً لذلك اختلفت آراء الباحثين المعاصرين، فقد ذهب عدة باحثين معاصرين إلى أنها وقعت في حوالي سنة 604م، وذهب آخرون إلى أنها وقعت مطلع البعثة النبوية في حوالي سنة 610م[4].

يظهر أن أرجح الآراء في تحديد التاريخ الدقيق لمعركة ذي قار أنها وقعت في العهد المدني من الدعوة الإسلامية، فقد ذهب اليعقوبي إلى أن معركة ذي قار

---

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط1، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بيروت، بغداد، 1970)، ج3، ص293؛ الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1994)، ص238.

(2) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط5، دار المعارف، القاهرة، 1986)، ج1، ص472.

(3) العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب (دار الكب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، 1981)، ج1، 71.

(4) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب، ص240؛ وينظر: قحطان عبد الستار الحديثي وصلاح عبد الهادي الحيدري، التاريخ الساساني والبيزنطي (مطبعة جامعة البصرة، البصرة: 1986)، الهامش، 162، ص 121.

وقعت بعد بدر بأربعة أو خمسة أشهر[1]. وذكر ياقوت الحموي أنها وقعت منصرف النبي (ﷺ) من موقعة بدر الكبرى[2].

من كل الآراء السابقة حول تاريخ وقعة ذي قار يرجح أنها وقعت بعد مدة من لقاء النبي (ﷺ) وفد بني شيبان في مكة المكرمة، من موسم الحج في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية الشريفة.

وأسباب ترجيحنا لهذا الرأي تعود إلى الاعتبارات الآتية:

أولاً. أن أهل العراق لم يلتقوا بالنبي (ﷺ) إلا في موسم حج السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية، وذلك عندما التقى النبي (ﷺ) وبصحبته كل من أبي بكر وعلي (رضي الله عنهما) بوفد بني شيبان.

ثانياً. الحوار الذي دار بين النبي (ﷺ) وبنو شيبان، يستشف منه اقتناع ذلك الوفد بدعوة الإسلام، ولكن الحاجز الذي حال دون إيمانهم الفوري، هو ظرفهم الخاص وموقعهم الجغرافي المحادد للفرس، ووقوعهم تحت حكمهم، والمواثيق التي كانت تربطهم بهم.

ثالثاً. ان الذين خاضوا المعركة كانوا من بنو شيبان الذين كان قد سبق أنْ التقى وفد منهم بالنبي (ﷺ) في موسم حج سنة (11) من البعثة، وكان النبي (ﷺ) في لقائه ذلك معهم قد رفع من معنويات بنو شيبان كثيراً، وذلك بزفه البشرى إليهم بأنهم سيمتلكون بلاد فارس إن هم دخلوا الإسلام، كاسراً بذلك جدار الخوف الذي كان الفرس قد فرضوه عليهم.

رابعاً. استخدام بنو شيبان اسم (محمد) (ﷺ) شعاراً لهم في المعركة ضد الفرس في ذي قار، ليس إلا نتاجاً للقاء الذي حدث بين النبي (ﷺ) ووفد العراق بقيادة بنو شيبان في مكة، وقد روي عن النبي (ﷺ) أنه حينما ذكر معركة ذي قار وانتصار العراقيين على الفرس فإنه قال: "وبي نُصروا".

وردت في المصادر أن المعركة عندما وقعت قال بنو شيبان لبعضهم: "عليكم بشعار التهامي، فنادوا: يا محمد يا محمد، فهزموا جيوش كسرى وقتلوهم،

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص46.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص294.

فقال رسول الله (ﷺ): "اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصروا"[1].

يتبين مما سبق أن بنو شيبان ربطوا مصيرهم وهم على الجاهلية بالنبي (ﷺ)، وذلك أنهم استخدموا اسم محمد (ﷺ) شعاراً لهم في تلك المعركة.

وأن الله تعالى قد نصرهم استجابةً لدعاء النبي (ﷺ)، وذلك أنه قال: "وبي نُصروا"، وقد ذكر بعض الباحثين[2]، أن رسول الله (ﷺ) في الوقت الذي هاجر إلى المدينة واستقر، ولما علم بقرب حلول المعركة توجه إلى ربه ودعا لشيبان بالنصر فقال: "اللهم انصر شيبان... اللهم انصر شيبان". ولم تكن شيبان قد أسلمت بعد.

أو أن بنو شيبان قد دعوا الله تعالى أن ينصرهم حباً بمحمد (ﷺ)، وبجاهه العظيم عند الله تعالى، وأن الله قد استجاب لدعاء العراقيين إكراماً لنبيه الكريم، خاصةً إذا علمنا أن أهل العراق كانوا مظلومين من قبل كسرى الفرس، وأنه ليس بين دعاء المظلوم وبين الله سبحانه وتعالى حجاب، وإنْ كان المظلوم كافراً.

لقد ساهمت هذه المعركة في إحساس العرب بتميزهم، لذا فإنهم يبدو وللمرة الأولى فقد وضعوا خلافاتهم القبلية جانباً وانتصروا لقضيتهم ضد عدوهم المشترك، الذي كان سبباً في تفريق كلمتهم.

---

(1) البخاري ، التاريخ الكبير، ج2، ص63، ص105؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص472؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج2، ص46؛ ابن خياط، خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري، الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري (ط2، دار طيبة، الرياض، 1982)، ج1، ص42؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج1، ص73، ص177؛ ابن قانع، عبد الباقي أبو الحسين، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي (ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، 1418هـ)، ج1، ص165؛ ابن حجر ، الإصابة، ج2، ص135؛ الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، 1407هـ)، ج6، ص211.

(2) الحميدة، سيرة النبي (ﷺ)، ص91.

هنالك عدة مشاهد على ظهور هذا الإحساس بين العرب في معركة ذي قار منها، ما ذكر أن قيس بن مسعود ذي الجدين كان عامل كسرى على (طف سفوان)، فلما جند كسرى جيوشه لقتال أهل العرق، انسل قيس بن مسعود ليلاً فأتى هانيء بن مسعود الشيباني فقال له: "أعط قومك سلاح النعمان فيقووا فإنْ هلكوا كان تبعاً لأنفسهم وكنت قد أخذت بالحزم، وأن ظفروا ردوه عليك، ففعلوا وقسم الدروع والسلاح في ذوي القوى والجلد من قومه"[1].

وقبيلة أياد كانت موالية للفرس تبعاً لأياس بن قبيصة الطائي عامل كسرى على الحيرة، بعد مقتل النعمان بن المنذر، لما أوشكت المعركة على بدايتها فإنْها أرسلت إلى بكر بن وائل: "أي الأمرين أعجب إليكم أنْ نطير تحت ليلتنا فنذهب أو نقيم ونفر حين تلاقوا القوم، قالوا: بل تقيمون فإذا التقى القوم انهزمتم بهم"[2]، وهكذا لما بدأت المعركة، كمن بنو بكر لهم فولت أياد منهزمة، كما وعدت بني بكر وانهرمت الفرس.

خامساً. دور أهل العراق في إرشاد سلمان الفارسي حتى وصوله إلى المدينة المنورة:

سلمان الفارسي الصحابي الجليل (رضي الله عنه) المعروف بصفة (الباحث عن الحقيقة)، قد تحدث إلى عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) بأنه كان رجلاً فارسياً من أهل أصبهان[3]، من قرية يقال لها جي[4]، وكان أبوه دهقان[5] قريته، وأنه كان أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه حتى حبسه في بيته مخافة أنْ يصيبه شيء، وكان خادم بيت نار المجوس، فلما سنحت له الفرصة بالخروج فإنَّه مر بطريقه بكنيسة من كنائس النصارى فأعجب بهم وبطريقة عبادتهم وبدينهم، فلما رجع اخبر أباه بما رأى، فزاد ذلك من خوف أبيه عليه فشدد الأمر عليه، بان حبسه في البيت وجعل في رجليه قيداً، عند ذلك بعث سلمان بمرسال إلى

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص479.
(2) نفسه، ج1، ص481.
(3) أصبهان، مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان اسم للأقليم.
(4) جي: مدينة تقع في ناحية أصبهان القديم، وهي الآن كالخراب منفردة.
(5) الدهقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة، وما يصلح بالأرض، يلجأ إليه في معرفة ذلك.

النصارى، إذا قدم عليهم من الشام أحد أنْ يخبروه بذلك، فلما قدم ركب الشام لتجارة لهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، استطاع سلمان أنْ يلقي بالحديد من رجليه، ثم يفر إلى الشام مع ذلك الركب، فلما وصلها سأل عن أفضل أهل دين النصرانية علماً، فدلوه على أسقف في الكنيسة.

وهكذا فقد مر سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، بأربعة محطات إلى أن وصل إلى المدينة المنورة، والتقى بالنبي (ﷺ) وآمن به.

المحطة الأولى كانت في (بلاد الشام) حيث تنقل هناك في خدمة رجلين من علماء الدين النصارى، الأول الذي نزل عنده كان شريراً، يجمع الصدقات من الناس ولا يوزعها على المساكين، بل كان يكنزها لنفسه وحتى جمع من ذلك سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما مات اجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، أخبرهم سلمان بأنَّ ذلك الأسقف كان رجل سوء، وعلمهم على موضع الكنز، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاءوا برجلٍ آخر فجعلوه مكانه[1].

بقي سلمان مع الرجل الثاني من علماء النصارى في بلاد الشام أيضاً إلا أنه كان صالحاً بعكس سلفه، فأقام عنده زمناً طويلاً، فلما حضرته الوفاة، قال له سلمان (رضي الله عنه): "وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بُني، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه، فقد هلك الناس، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به، قال: فلما مات وغُيب لحقت بصاحبه بالموصل، فقلت له: يا فلان إنَّ فلاناً أوصاني عند موته أنْ ألحق بك، وأخبرني أنَّك على أمره، فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أنْ مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان إنَّ فلاناً أوصى بي إليك وأمرني أن الحق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين، وهو فلان فالحق به"[2].

---

(1) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص87؛ ابن هشام، السيرة، ق1، ص214-216.

(2) ابن هشام، نفسه، ق1، ص216-217.

فلحق سلمان (ﷺ) بعد وفاة صاحبه بالموصل، بالرجل من نصيبين، وهي مدينة تابعة للموصل، وهي المدينة ذاتها التي آمن جنها برسول الله (ﷺ).

فأقام سلمان عند صاحبه في نصيبين إلى أن حضرته الوفاة هو الآخر، فأوصى به أن يأتي رجلاً بعمورية[1] من أرض الروم، فأقام سلمان (ﷺ) في العمورية وأكتسب هناك بقرات وغنيمات، فلما حضرت صاحبه بعمورية الوفاة، فإنَّه أوصى سلمان بقوله: "أي بني والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أنْ تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم (عليه السلام)، يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإنْ استطعت أنْ تلحق بتلك البلاد فافعل"[2]. وبهذه الطريقة وصل سلمان إلى الجزيرة العربية، فلما تحقق من العلامات الثلاث التي أوصاه به صاحبه بعمورية فإنّه آمن بالنبي (ﷺ) واكب عليه يبكي.

إذاً في ضوء ما سبق يتبين بأنَّ سلمان في رحلته للبحث عن الدين الحق، فإنَّه مر بأربعة محطات نزل بها وأقام فيها سنيناً لا نعلمها، فإنَّ اثنين من تلك المحطات الأربع كانت بأرض العراق، المحطة الأولى في الموصل، والثانية بنصيبين من توابع الموصل، هذا يعني بأنّه إذا كانت لأرض العراق خصوصية بالنسبة لبلاد العرب والإسلام جميعاً، فإنَّ لمدينة الموصل هي الأخرى خصوصيتها بالنسبة لأرض العراق.

إنَّ انتقال سلمان (ﷺ) من دين الوثنية التي هي (المجوسية) ومن ثم إلى النصرانية التي كانت أحق الأديان بأن تتبع قبل ظهور الإسلام، ومن ثم دخول الدين الإسلامي وفي العهد المدني من الدعوة الإسلامية، فإنَّ لكل ذلك دلالة بأنَّ أرض العراق كانت تحتل (50%) من المحطات التي مر بها سلمان (ﷺ) وبذلك فقد سلمت قيادة الإنسانية بأمر من الله تعالى وعبر أرض العراق وبلاد الشام من الدين النصراني بعد أنْ حرفه أتباعه، فأصبح رجال دينهم يحرمون ويحللون ما

(1) عمورية: بلد في بلاد الروم غزاها المعتصم، قيل: سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح.

(2) ابن هشام، السيرة، ق1، 218.

تشتهي أنفسهم، إلى الدين الإسلامي الحنيف الذي هو خاتم الأديان، ونبيه خاتم الأنبياء والرسل (صلوات الله تعالى عليهم جميعاً).

لقد استحق سلمان (رضي الله عنه) بجهوده هذه، وما أشار به على رسول الله (ﷺ) عندما حزبت يهود وقريش الأحزاب لغزوة المدينة سنة (5هـ) بحفر الخندق أنْ يقول له النبي (ﷺ): "سلمان منا أهل البيت".

قال ابن هشام: "حدثني بعض أهل العلم: إنَّ المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله (ﷺ): سلمان منا أهل البيت"[1]. إن هذا الوسام النبوي الخالد لسلمان يشعر بأن سلمان من المهاجرين لأن أهل البيت من المهاجرين.

الخاتمــة:

فيما يأتي أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

1. إنَّ اسم العراق كان شائعاً في الاستعمال في عصر الرسالة والراشدي، ومن يرجع إلى كتب البلدانيين العرب يرى أنهم إنما يطلقون اسم العراق للدلالة على جميع الأراضي المتمثلة بالعراق الحديث تقريباً، بل إنّهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك.
2. كان أول حضور لأهل العراق على مسرح أحداث عصر الرسالة متمثلاً بشخصية زيد بن حارثة، وقد كان صاحب النبي (ﷺ) قبل البعثة، وابنه حسب التقاليد العربية قبل الإسلام، ومن ثم صاحبه بعد البعثة أيضاً، وأحب الناس إليه.
3. بعد أن أدى زيد ما على عاتقه لمواساة النبي (ﷺ) ومؤازرته ومناصرته أثناء خروجه معه إلى الطائف، وأصابه ما أصابه مع رسول الله (ﷺ)، وبعد أن أخرج أهل الطائف النبي (ﷺ) وصاحبه زيد من مدينتهم وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وهما فيه، وأبنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي النبي (ﷺ) من سفهاء أهل الطائف، هنا تشاء الحكمة الإلهية أن يكون

(1) نفسه، ق2، ص224.

الشخص الآخر القادم ليواسي رسول الله (ﷺ) ويخفف عنه ما جرى له، أن يكون من أهل العراق أيضاً، وبالتحديد من نينوى، وقد وقف إلى جانب النبي (ﷺ) وقال كلمته بأنه ما في الأرض خير من رسول الله (ﷺ)، هذا الموقف وقفه عداس من النبي (ﷺ) في الوقت الذي لم يكن للنبي (ﷺ) غير الله تعالى يدافع عنه، لذا فإن هذا الموقف سيبقى مرتسماً في أذهان المسلمين والناس جميعاً إلى يوم القيامة.

4. لقد كان لصهيب صحبة مع النبي (ﷺ) قبل البعثة وبعدها أيضاً، وكان من أقرب الناس إليه (ﷺ)، وقد كان في الأصل من أهل العراق، من نينوى.
5. لقد كانت لهذه المواساة والمؤازرة التي قدمها أشخاص كانوا في الأصل من أهل العراق دورها المعنوي للوقوف إلى جانب النبي (ﷺ) منذ أن خرج من الطائف مطروداً، حتى صمم على العودة إلى مكة، والقيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة بنشاط جديد وجدٍ وحماس.
6. أن سلمان الفارسي في رحلته للبحث عن الدين الحق، فإنّه مر بأربعة محطات نزل بها وأقام فيها سنيناً لا نعلمها، فإنَّ اثنين من تلك المحطات الأربع كانت بأرض العراق، المحطة الأولى في الموصل، والثانية بنصيبين من توابع الموصل، إذا كانت لأرض العراق خصوصية بالنسبة لبلاد العرب والإسلام جميعاً، فان لمدينة الموصل هي الأخرى خصوصيتها بالنسبة لأرض العراق.

The Role of Iraq in Supporting the Prophet Muhammad

Dr. Khatab I. Ahmed*

Abstract

This study aims at talking about the role of Iraqis in patronizing and condoling the prophet Muhammad (PBUH) at the time the unbelievers upset and hurt the prophet and followers.

The first existence of Iraq at the theatre of message was presented throughout the personality Adaas Meti at the tenth year of the glorious Prophetic mission at Mekkah time. By the time the tough day has continued into the evening most hurtfully against the Prophet Muhammad (PBUH) for acute sufferings and torture he was tasted by Al-Taif people. The night has fallen till the Islamic movement has moved to Al-Taif which was refused by the latter, shifted to another world, the world of fairy of Nasibin people, that abundant city of peninsula land to road of caravans from Mosul to sham and the role of Shiban people in Iraq who have believed in the movement of Islam but their circumstances and the will of almighty God which kept them from taking the Prophet with them to the land of Iraq.

Additionally the Battle of Ziker which Iraqis fought on behalf of the people generally, and the road in which the splendid follower Salman Al-Farisi passed, that helped him to reach belief in the way of Islam was on the land of Iraq in the city of Mosul. This study explains all these matters with some details.

* Dept. of History/ College of Education/ University of Dohuk.